د بلحنافي جوهر

أستاذة محاضرة ا

قسم الفلسفة.مجامعة معسكر– الجزائر

عنوان البحث :إشكالية مفهوم الكونية بين العالمية والعولمة و علاقتها بالحق

ملخص

تميز الفكر الهيلنستي بدعوته للكونية cosmopolitisme وتجسد خاصة فيما يسمى بالمواطنة العالمية حيث نادت الرواقية بعالمية الطبيعة البشرية، ووحدة الجنس البشري والمساواة على اعتبار أن العقل هو خاصية أساسية إنسانية، وفي هذا خالفت الفكر اليوناني من خلال الدعوة لسلطة قانون المدينة الكونية)كوزموبوليس cosmo polis (على خلاف قانون المدينة polis) بوليس) فقانون المدينة الكونية قانونا يعترف بعالمية الحق الطبيعي لكل إنسان غير أن الدعوة إلى العالمية عرفت تحولات فكرية على حسب روئ الفلاسفة والمفكرين دون أن نغفل دور التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وسياسية ،فمن أساس أخلاقي إلى أساس مادي وإيديولوجي من العالمية إلى العولمة وممارسة لخطاب الهيمنة باستخدام أساليب مختلفة. فهل حملت العولمة الأبعاد الإنسانية التي تأسست عليها مثلما حملتها الفلسفات التي نادت بالمدينة العالمية ؟

كيف نشأ مفهوم الكونية في حضن الفلسفة؟

الأساس التاريخي والفلسفي لمفهوم الكونية والعالمية

تقوم هذه الوحدة العالمية على رابطة أخلاقية تربط بين الآلهة و بني الإنسان، بحيث يعتقد أهل الرواق أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون.وان الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا جزءا من هذا العقل الكوني. "فالكون l'univers هو المدينة الكبرى، والمدينة العالمية Cosmopolis*يتعايش فيها البشر والآلهة، ويرتبط فيها كل واحد بالآخر،إذ يكون حكمها هو القانون الإلهي الوحيد الذي تتغذى منه

كل القوانين البشرية ،إنه اللوغوس logos أو العقل الكلي الذي يعتبر كل فرد عضوا أو فرعا منه"[1]وعليه فالقول بأخوة و المواطنة العالمية Cosmopolitanisme ،يعني بوحدة النفس الإنسانية فالإنسان مواطن للعالم أجمع ، والكرة الأرضية بيتا له و وهذه الوحدة والأخوة معنوية هي التي تجمع بين البشر جميعا أساسها الإتحاد في الجوهر. مما يترتب عليها القول بان النواميس العامة للعقل الإلهي واحدة بالنسبة إلى البشر جميعا،أي "كل الناس هم مواطنون في جمهورية زيوس يجب أن يعيشوا متحدين تحت قانون واحد مشترك مثل القطيع الذي يسير تحت إمرة راعي واحد"[2] .فالعقل الكوني هو الذي يوحد بين البشر، بحيث يتحدوا تحت لواء قانون واحد يحقق لهم المساواة والأخوة .

العالمية والحق الطبيعي

دعت الرواقية على خلاف الفكر اليوناني(و خاصة أرسطو)بأخوة جميع الأفراد ، ،وأنه لا يوجد فرق طبيعي بينهم إلا في القدرات والمواهب التي تجعل أدوارهم وواجباتهم متفاوتة، فقد رفضوا الفوارق الاجتماعية المصطنعة بين البشر ونادوا بالمساواة ، ونبذ العبودية فهذه الفوارق لا دلالة لها ،ولا معنى في ظل الدولة العالمية فاليونانيين، والبرابرة والأشراف،والعامة والأرقاء والأمراء والأغنياء والفقراء كلهم سواء يخضعون لنفس القانون

[1] جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصبلا ،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشروالتوزيع بيروت ط2 ،1933ص192

. * Cosmopolis كلمة يونانية غالبا ماتترجم إلى مواطن العالم كما تترجم إلى مواطن الكون وهذا التعبير يشمل جميع أشكال الحياة بما فيها الإلهة وليس البشر فقط.

[2] Jean Brun – le stoïcisme – Editions delta. France 1994 p113 .

[1] وهذا بالتأكيد على حق الكرامة الإنسانية، بما أن جميع البشر قادرين على التفكير العقلاني.

من خلال إيمان الرواقية بوحدة الوجود، وبوحدة الإله المدبر له ،آمنت بوحدة الإنسانية جمعاء رغم اختلاف البشر في الشكل ،و اللغات والأعراف ،لاشتراكهم في امتلاك العقل ، فهم من بين جميع الموجودات أعدوا للحياة الاجتماعية وهي ضرورية لهم "أنهم الوحيدون الذين وهبوا العقل ومن ثم هم إخوة وهذا يجعلهم حيوانات اجتماعية بالطبيعة ،إذ يدفعهم هذا إلى الاتحاد معا والعيش في مجتمعات مشتركة."[2]

لقد كانت لهذه النزعة الكونية التي ظهرت مع زينون تتطلع إلى إقامة مجتمع كبير متماسك قادر على أن يحل محل الدول الصغيرة المتطاحنة ، فيما بينها حيث تتصارع الطبقات داخل كل واحدة منها لقد أراد زينون وأتباعه أن يقيم مجتمعا جديد ا مبني على أساس المساواة بين الناس أجمعين بحيث "لا يكون داخله أغنياء أو فقراء أو سادة أحرار أو عبيد. "[3] وفي ظل الدعوة إلى الدولة العالمية ميز الرواقيون بين نوعين من القانون، بحيث يرون أن الإنسان يعتقد بقانونين :الأول هو قانون دولة المدينة ، أما الثاني فهو قانون الدولة العالمية، فهو قانون العقل، فهو قادر أن يكون معيار تلتزم به شرائع المدن والدول المحلية وأن يعبر عن قدر متزايد من الوحدة الكامنة خلف كثرة الشرائع والعادات والتقاليد المختلفة، فالدولة التي أوجب الرواقيون على كل مواطن أن يشارك في إدارة شؤونها، والتي لا تكون كذلك ،إلا عندما تقوم على أساس أخلاقي، الذي يجسد في نظرهم العدالة ويضمن حق الإنسان وفق القانون الطبيعي. فكيف يجسد ذلك ؟

إذا كان العدل المثالي عند أفلاطون وأرسطو مرتبط بفكرة الدولة المدينة ، وكانت العدالة اليونانية تطبق على المواطنين اليونانيين الأحرار فحسب ،وليس العبيد أو البرابرة، وهذا ما جعل أرسطو غير مقتنع بمعيار يكون القانون فيه يحكم جميع الناس على حد سواء استنادا إلى صفاتهم الإنسانية المشتركة، لذا أقر بالرق واعتبر الأرقاء قد خلقوا بالطبيعة فهم بنظره بمثابة آلات.

وبمناداة الرواقية بعالمية الطبيعة البشرية، وأخوة الإنسان ، خالفت الفكر اليوناني من خلال "الدعوة لسلطة قانون المدينة الكونية (كوزموبوليس) cosmo polis على خلاف قانون المدينة (polis بوليس) فقانون المدينة الكونية قانونا عقلانيا وبالتالي وهو يمتاز بالسمو الأخلاقي على القوانين المحلية التقليدية التي تحكم بعض الدول"[4] ذلك لوجود قانون طبيعي عالمي.

القانون الطبيعي وعلاقته تأسيسه لمفهوم المواطنة العلمية

القانون الطبيعي هو أساس ميلاد فكرة العالمية أو المساواة العالمية لجميع الأفراد دون أي تمييز بينهم فالجميع سواء.وقد ترتب على ذلك نتيجة هامة، أن ميلاد فكرة القانون الطبيعي كمبدأ عالمي ملزم في تحقيق هذه المساواة في جوانبها المتعددة "التي تشمل أوجه عدالتها، طبيعة إنسانية، هدفها أخلاقي يجب أن يستقر في الضمير العالمي".[5] "ومثلت هذه الفكرة نزعة الإنسان إلى الكمال"[6] ففي نظر أهل الرواق هذا القانون الإنساني العام والشامل متفق مع قيم الطبيعة ومبادئها وحقوقها لذلك فهو القانون الأزلي الدائم حيث يقود البشرية إلى الفضيلة، لذا فكل القوانين والقيم والتقاليد أيا كان مصدرها نشاطها يجب أن تخضع للقانون الطبيعي، وتنسجم معه وتستجيب بمقتضياته. حيث تستمد الدولة العالمية قوانينها وقيمها من الطبيعة ،كما يستمد الناس قيم الحرية والمساواة ويشتركون في التمتع بها والخضوع لأحكامها لذلك فهم أحرار بقدر ما هم متساوون طبقا للقانون الطبيعي .

وهكذا كانت لفكرة القانون الطبيعي الرواقية التي نادت بالمساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم أو بين المجتمعات البشرية المختلفة أساس لرفع راية الدعوة لاحترام حقوق الإنسان و احترام الكرامة الإنسانية. وبهذا فقد خالفت كل التقاليد الإغريقية التي كانت تميز بين اليونانيين وبين الإشراف، والعامة وبين الأحرار والعبيد وبين الأغنياء والفقراء، فالتميز الوحيد الذي أكدت عليه هو الفرق بين الإنسان الفاضل والإنسان الغبي أو الأحمق "فكل الناس يكونون جسما واحدا ويخضعون لقانون طبيعي واحد يسيرهم جميعا نحو قدر واحد وبالتالي يجعلهم متساوون ولا تميز بين أي فرد منهم وآخر لا في الجنس ولا في اللون ... أو غيره"[7]

فالعدالة عند الرواقيين مرتبطة بالقانون فهي ثابتة لا تتغير بما أن كل التشريعات تتقرر بمقتضاه. من خلال تناول الرواقيون للقانون الطبيعي باعتباره دستور الدولة العالمية حيث تكون حياة الإنسان خيرة بقدر الخضوع لهذا القانون وانسجام معه و تحقق المساواة ويحفظ الحق الطبيعي لكل فرد.

الحق الطبيعي والموطنة العالمية

الحق الطبيعي هو ما تعطيه الطبيعة للإنسان فمصدره ومشرعه الوحيد هو الطبيعة والعقل، لذا ارتبطت كلمتين الحق والقانون loi انبثقت فكرة حق الطبيعي من تصور للإنسان والكون اعتمادا على الطبيعة كمرجعية وأساس لتأصيل لمفاهيم يحكمها العقل ،وقد أدى هذا إلى ارتقاء منظومة حقوق الإنسان إلى

مستوى أعلى من القانون الوضعي النسبي إلى مستوى القانون الطبيعي الشامل (الكوني)،بحيث أثرى مجال حقوق الإنسان واعتبر الوجود الإنساني حقا طبيعيا تتبني عليه كل قيم وجوده الاجتماعي ،وأصبح الفعل الإنساني خاضعا لمعايير تحكمها الطبيعة والعقل.

إن القانون الطبيعي يحمل في صلبه العدالة و المساواة المطلقة، فهو لا يميز بين إنسان وآخر ،فالجميع سواسية وإخوة، فهو ذوو طبيعة إلهية بما أنه ليس منبثق من تفكير عقل بشرى واحد ، لذا فالجميع يتساوون في الحقوق "فالأفراد بطبيعتهم متساوون يخضعون جميعا للقانون الطبيعي، ولهم جميعا حقوق متساوية"[8] لأنه عالمي"فالقانون الطبيعي أو الحق الطبيعي هو قانون عام يسود الإنسانية جمعاء"[9].فهو الذي يضمن أن لا تكون الحقوق الطبيعية حكرا على طبقة دون طبقة اجتماعية أخرى كالعبيد، فبحكم هذا القانون يصبح كل أفراد المجتمع مواطنون في جمهورية تضم جميع أرجاء العالم،على خلاف تصور أرسطو . وبما أن القانون الطبيعي عالمي فالفرد عند الرواقيين هو مواطن عالمي فلكل فرد بوصفه إنسانا له الحق في قدر من الكرامة الإنسانية والاحترام بوصفه عضو داخل الأخوة الإنسانية لا خارجها. فعلى أساس القانون الطبيعي تم التأكيد على حق الفرد ،و تجاوز مفهوم المواطن دولة المدينة ،وكذا نظرة التفاوت المصطنع الذي أقره فلاسفة اليونان .

فالرواقية تنظر إلى أن جميع الأفراد متساوون في الحقوق السياسية ،لذا لابد من الشعور باحترام الطبيعة للكائن العاقل ،وإحلال حقوق المواطنين بعدم الضرار بالغير، "إعطاء كل ذي حق حقه بإقرار المساواة تتحقق العدالة وتتساوى القيم و الحقوق بين الرجال والنساء حيث يكون احترام حقوق الزوجات والأطفال،و دعوة لعمل الخير، والحب وطهارة الأسرة، والتسامح والإحسان إلى الآخرين أي الشعور بالإنسانية في كل الأحوال."[10]

أخذ شيشرون بفكرة القانون الطبيعي التي جاءت به الرواقية، قام بشرحها وتحليلها، بحيث انطوت أفكاره السياسية على نظرة إنسانية عالمية دعمتها الفلسفة الرواقية، " انطلق شيشرون من مفهوم القانون الطبيعي والمساواة الكاملة بين البشر. [11] و القول بعدم المساواة بين الناس من نظره إنما مرجعه العادات السيئة والمعتقدات. إن فكرة المساواة عند شيشرون تنبع من فكرة القانون الذي يدعو إلى وحدة الجنس البشري حيث بتساوي جميع الأفراد ،إذ يجب أن يتمتع كل فرد بقدر من الكرامة الإنسانية والاحترام ،حتى ولو كان عبدا، فالإنسان مساو لأي إنسان آخر بالفهم والإدراك فهو يتميز عن الحيوان أينما كان وأينما حل. يربط شيشرون، قانون الطبيعة بنظرية بالغة أهمية وهي المساواة الطبيعية بين الناس.

فعند شيشرون لا توجد فروق جوهرية بين الأفراد، "فالكل جدير بالاحترام والتقدير وله الحق ولو نظريا في التمتع بجميع الحقوق والمزايا المتوفرة داخل كل مجتمع"[12] فعلى الرغم من تأثر شيشرون بالفكر اليوناني (الأفلاطوني والأرسطي) إلا أنه يخالفهم الرأي حول مفهوم المواطن، وكذا في تحديد حقه الأخلاقي وضرورة الدولة

وهنا نجد شيشرون قد نظر إلى إنسان عالميا أكثر من أرسطو حتى العبيد عند شيشرون لهم الحق في قدر من المساواة، "فالعبودية لا يمكن محوها لكن في الوقت نفسه العبد هو إنسان يملك عقلا وله حقوق لابد من احترامها، والسيد لابد أن يعامل العبد على أنه عامل أجير."[13] إن شيشرون يؤكد على أن كل فرد بوصفه إنسانا له الحق في قدر من الكرامة الإنسانية والاحترام بما أنه عضو وفرد من أفراد الأخوة الإنسانية. فبمقتضى أحكام القانون الطبيعي، يتمتع جميع الناس بما يضمنه لهم من حقوق، ويؤيدون ما يفرضه عليهم من التزامات، ولا يجوز من الناحية الأخلاقية تعطيل أي من أحاكمه بتشريعات بشرية ولن يكون للناس من حاكم أو سيد أو مشرع إلا " مصدر القانون الطبيعي ومشرعه ومفسره راعيه".[14] لقد اعتبر شيشرون أن العادات السيئة هي التي تمنع الأفراد من التآلف والارتباط ،فرغم أن الشعور بالحق والعدل فطري في الإنسان إلا انه يمكن أن يحيد عنه نتيجة تأثير هذه العادات السيئة التي تعمي البصيرة وتقود إلى الرذيلة فالحق عنده يحقق من خلال قيم مطلقة،و هي الخير العام أو الكوني للإنسان، "فهو ليس ناتج عن أي نظام أو حكم معين ولا يتعين عن طريق سلطة ما بل يصل إليه عن طريق قانون كلي عميق بطبيعته".[15] "فاحترام القوانين لا تكفي بل يجب أن يكون الحق موضع التطبيق لأن الحق هو فوق الحاكم، وفق المدينة نفسها."[16] و باحترام جميع الأفراد لحقوق بعضهم البعض والعمل على تحقيقها أو تجسيدها في الواقع، وهكذا تصبح فكرة الكرامة الإنسانية والحقوق المتصلة بالشخص في تلك الفترة هي أساس الحياة الاجتماعية، تحقق شكل من الحضارة العالمية حقيقة بمعنى "أنها لم تكن مقيدة بأي تقاليد وطنية أو محلية، أنها حضارة تتوجه بقانون لكل البشر ،لأنها تؤمن بتماثل العقل المشترك لدى الجميع."[17]. اعتبرت أفكار الفلسفية لشيشرون دعوة إلى العولمة السياسية وعولمة الحضارة ،وعولمة القانون الطبيعي والحق الإنسان .

ففكر ة العالمية أصبحت أساسا لتأكيد على بعض المبادئ التي استحدثت معها طرح تصورات جديدة مخالفة لما كان في سابق وهذا كان نتيجة لدعوتها إلى الأخوة ،و المساواة لجميع البشر، والتأكيد على الكرامة الإنسانية والاعتراف بحق الفرد في الحياة وبحقوقه الطبيعية .

فقد استطاعت هذه الفكرة أن تؤثر على القانون الروماني،وتكون مصدرا لإلهام مشرعيهم ، كما استطاعت أن تِؤثر في الدعوة المسيحية وتوجهها على أساس المحبة والرحمة، وان توحي إلى " جان جاك روسو و فلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم عن إخاء بني الإنسان، وحقوقهم الطبيعية في الحرية و المساواة."[18] "وأن تعبد الطريق للأخلاق الاجتماعية مستوحاة من محبة للإنسانية"[19].التي أصبحت في ما بعد مصدرا للدعوة عن إعلان لحقوق الإنسان في التشريعات الحديثة.

غير أن محاولة تحقيق العالمية على أرض الواقع مع توسعات الكسندر المقدوني وتوسعات الإمبراطورية رومانية فقدت قيمها الروحية وأصبحت تحمل أبعادا مادية، و اكتست دلالات وتصورات وأهداف اختلفت حسب تصورات ومذاهب الفلاسفة و تأثير ظروفهم الاجتماعية وتطوراتها سياسية وما وكبها من تغيرات اقتصادية ،لذلك تغيرت الأهداف من الدعوة لحق الإنسان من منطلق المدينة الكونية إلى غايات استعمارية مع العالمية إلى العولمة.

تعتبر العولمة هي نوع من أنواع انتخاب وانتقاء المثل الإنسانية العليا في كل الخبرات الحضارية، وترقيتها لتصبح نموذجاً عالمياً يتم التعامل معه كنموذج مثالي تستهدفه المجتمعات العالمية، فتقترب منه بما تسمح به برامج الإصلاح فيها، وبقدر ما تحمله موازناتها.

ولقد انتشرت العولمة في كل ما يتصل من تفكير في العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما هو مؤكد أن التوجه الحضاري الإنساني في العلاقات الدولية الحديثة والمعاصرة كان يعرف قبل ظهور مفهوم العولمة بمسميات أخرى مثل الدولية، التدويل الإمبريالية، العالمية، الكونية، نظام الاستعمار المباشر القديم، نظام الاستعمار غير المباشر الجديد، وكل هذا سيشكل ظاهرة يستدل منها على مفهوم علاقات بين الحكومات أو بين القوميات، أو متعددة الأطراف، وهذه العلاقات ستكون نتائجها بدون شك للدول الأكثر نفوذاً وتأثيراً في نظام العولمة هذا، ومهما تكن العلاقات الجارية في مسرح العلاقات الدولية المعاصرة، والمفاهيم التي تحاول الإطاحة بها فهي مصطلحات تفسر نفس الظاهرة، وتمثل نزوع الغرب نحو الشمولية والاستبداد العالمي أو الدولي، والقاسم المشترك إلى هذا النزوع هو السوق الحرة، وما المصطلحات التي تسوقها الأوساط الأكاديمية والإعلامية الغربية سوى محض تمويه وخداع وتضليل وأدلجة وتوظيف دعائي سياسي تكتيكي للمفهوم، وستبقى العولمة مفهوماً سوسيولوجياً له أهميته في علم الاجتماع العالمي، أو علم العولمة، الذي نرغب فيه أن يكون مستقلاً عن أي توظيف أيديولوجي، وهذا ما نبغي اختياره.

بين العالمية و العولمة

إذا كانت العولمة تعني وحدة الجنس البشري، باعتبار أن العالم وحدة واحدة، فالعالمية ضد العولمة، الأول انفتاح على العالم، وإقرار بتباين الثقافات والحضارات، والثانية انفتاح على ثقافة واحدة، هي الثقافة الأمريكية، ورفض لما عداها من ثقافات، وإذا كانت وسيلة العالمية الانفتاح بين الحضارات؛ فإن وسيلة العولمة الصدام والصراع بين الحضارات، وإذا كانت العولمة غزوا ثقافيا، واختراقا لخصوصيات الثقافات القومية والوطنية؛ فإن العالمية إثراء لهذه الثقافات، وتلاقحها حضارياً وعلمياً وتقنياً.

وتقوم العالمية على المساواة والنّدية بين مختلف الثقافات، بينما تقوم العولمة على التبعية والهيمنة والتطبيع والغزو والاختراق وإفراغ الثقافة من مضمونها وانتزاع هويتها الخاصة والترابط بين الناس برباط عولمي من اللاوطنية واللاقومية واللا دينية واللادولة.

إن العالمية تخاطب أعمق مشاعر الإنسان عموماً، وأقوى مشاكله، وأخص هواتفه، والعالمي في الأدب والفن هو الذي يتصيد، ما بين البشرية جمعاء، العواطف المشتركة، وما في وجدانها من حقوق موحدة وقيم سامية ومثل عليا على الرغم من اختلاف الأجناس وتباين الأزمان والأوطان، ويعد الحياة كرامة والحرية حقاً، والعدالة الاجتماعية حتماً والفضيلة جوهراً.

فالعالمية نزعة إنسانية توجه التفاعل بين الحضارات، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين مختلف الأمم والشعوب، والحضارة العالمية نزوع عالمي يرى التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون.

هذا التعريف للعالمية يختلف عن التعريف الغربي في وقتنا الراهن، إذ أن التعريف الغربي الآن يؤمن بالنزعة المركزية اللصيقة بالنموذج الحضاري الغربي منذ القديم، ولهذا فإن الجديد فيه، هو تصاعد في درجة النزعة المركزية، ووحدة التطبيق لها. والسبب في ذلك هو التطورات الجديدة التي طرأت على العالم، ومن ثم علاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي، والذي يطمح في صب العالم اقتصادياً وسياسياً وقيمياً وثقافياً وعسكرياً.. الخ، داخل قوالب غربية.

من هذا المنطلق تتداخل مفاهيم العولمة والعالمية الغربية، لتمثل مرحلة الطوفان (والذي هو في مضمون هذه المفاهيم مجموع الدعاوي الغربية) نهاية التاريخ، بحيث من لم يركب سفينة نموذجه طوعاً سيركبها مكرهاً.

من هنا نقول إن العولمة والعالمية الآن زعامة أمريكية، توضحها أساليب الليبرالية الأمريكية المستخدمة، والتي نلحظ آثارها في الفرو قات الاقتصادية الهائلة بين دول الشمال والجنوب.

انعكاسات العولمة على واقع العالم الثالث وعالمية حقوق الإنسان

المقصود بعالمية حقوق الإنسان عند بعض الفقهاء، أن كل الحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومختلف وثائق القانون الدولي لحقوق الإنسان، تتجاوز وتفوق الحدود السياسية، الجغرافية، اللغوية وحتى الدينية والثقافية؛ فيصبح المجتمع الدولي ساحة لتطبيق تلك الحقوق.وترجع تسمية أول وثيقة دولية تُعنى بحقوق الإنسان بـ " الإعلان العالمي لحقوق الإنسان"، إلى الفكرة التي مفادها أن الإنسان هو نفسه حيثما كان وحيثما وجد، فبالتالي يجب أن يتمتع بالحقوق نفسها والحريات.

وفي هذا المعنى تنص المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:" يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء.

فالعالمية تحث على أنه في أي مكان وجدنا يجب النظر إلى الإنسان كإنسان، وعلى هذا الأساس فإن الإعلان الفرنسي لسنة 1789 ليس إعلانا موجها للمواطنين الفرنسيين فقط، وإنما لكل "إنسان"مهما كانت جنسيته، أو الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها.

وإذا كان القرنان السابع عشر والثامن عشر يمثلان المرحلة التاريخية التي شهدت صياغة وبلورة مفهوم الحقوق الطبيعية للإنسان فقد شهد القرن العشرون بسطا لنطاق المفهوم وتأسيسه في مجموعة من الوثائق الدولية، على رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.وهذا لثورة الشعوب من اجل تقرير مصيرها ضد الاستعمار وتحقيق استقلال لدول عالم الثالث .

واعتبر قرن الواحد وعشرون قرن الإنسانية وحقوق الإنسان بحيث ظهر نظام جديد "العولمة" لم تتبلور معالمه بدقة رفع شعار حماية حقوق الإنسان وتجسيدها في مختلف دول العالم لذلك أصبحت تشكل خطرا على استقرار دول العالم الثالث وخاصة العالم العربي .وهذا ما يجدر بنا توضيح كيف ذلك؟

مصطلح العولمة ظهر أثناء حرب الخليج الثانية التي تزامنت مع سقوط المعسكر الشرقي الاشتراكي وما حمله من مفاهيم وإيديولوجيات وأنظمة وبتحالف الدولي بقيادة الأمريكية لضرب العراق ،أعلن بوش عن "ميلاد نظام عالمي جديد" فالعولمة هي في حقيقتها تعميم لبعض المفاهيم والأنماط والأنظمة على كل

بلدان العالم منها الاقتصاد أو الرأسمال ،الديمقراطية تأكيد على حرية الرأي وتعدد الأحزاب ،وحقوق الإنسان فبسقوط المعسكر الشرقي انتصر المعسكر الغربي وأصبح لزاما تعميم العولمة (النموذج الغربي لمفهوم حقوق الإنسان) ،تعزيز حقوق الإنسان وجعلها في صدارة السياسة والعلاقات الدولية،فالثورة التكنولوجية في وسائل الإعلام حولت العالم إلى قرية صغيرة جعلت انتهاكات حقوق الإنسان مكشوفة فالعولمة الإعلام جعلت علاقة بين النظام في أي دولة والمواطن مكشوف أي أصبحت تعرية للنظم السياسية في العالم الثالث بما في ذلك العالم العربي وتمكن العالم المتقدم بموجب العولمة التكنولوجية والسياسية والثقافية من مراقبة علاقة المواطن بالحكومة مما جعل سيادتها فكرة رمزية.

"إن أولوية إقامة نظام عالمي جديد هي إقامة نظام عالمي إنساني جديد يرتكز على الديمقراطية والعدالة واحترام حقوق الإنسان"38[3] وهذا ما أكدته تصريحات الأمين العام للأمم المتحدة بيرز دي كويلارسنة1991 " إن سيادة الدولة لا يمكن اعتبارها حاجزا واقيا ترتكب من ورائه انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.وان الاهتمام الدولي متزايد في إيجاد نظام عالمي لحقوق الإنسان وان كل محاولة للوقوف ضد هذا التزايد أو التحول ستكون غير حكيمة من الناحية السياسية و لا يمكن الدفاع عنها أخلاقيا "39[4].لهذا وجدت دول العالم الثالث نفسها في وضع لا تحسد عليه ،فقد أصبحت الدعوة لدفاع عن حقوق الإنسان ذريعة لتدخل في شؤون السياسات الداخلية للدول وانتهاك لسيادته وذلك لتستر وراء الشرعية الدولية من اجل بسط سيطرتها عليها(العراق ،افغنستان ،ليبيا...)

فهي تركز على بعض الحقوق دون البعض الأخر ،لازدواجية المعاير والكيل بالمكيالين.

أصبحت قضية حقوق الإنسان تتخذ كذريعة لفرض شروط معينة أو لإقصاء أو لتدخل أجنبي من قبل الدول الكبرى التي تستعملها الآن الشرعية الدولية في تجريد الدول المستضعفة من سيادتها حيث تكون صورية فقط.

الهوامش

[111] مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسة من صولون إلى ابن خلدون ،الدار المصرية السعودية القاهرة دط 2005

[2] ، دراسات في الفلسفة اليونانية، ،دار قباء لدنيا والطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية دط 1999 ص332.

[3] عامر حسن فياض، على عباس مراد، مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط – جامعة قان يونس بنغازي ط2004،4 ص300.

[4] فاضل إدريس، الوجيز في فلسفة القانون – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط وسنة.

[5] إبراهيم درويش – النظرية السياسية في العصر الذهبي – دار النهضة العربية للقاهرة، د.ط، 1973، 6. المرجع نفسه ص180

[7] عمر عبد الحي – الفكر السياسي في العصور القديمة (الإغريقي، الهيلتستي، الروماني) ص298.

[8] محمد فتح الله حطيب – مبادئ العلوم السياسية – تطور الفكر السياسي –ص61.

[9] عبد الرحمن خليفة، منال أبو زيد، الفكر السياسي الغربي (الأسس والنظريات)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ط، 2003، ص55.

[10] فاضل إدريس ،ص126.

[11] عمر عبد الحي – الفكر السياسي في العصور القديمة، ص347.

[12] عمار بوحوش ، تطور النظريات والأنظمة السياسية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر دط 1972ص109

[13] عبد الرحمن خليفة، منال أبو زيد، المرجع السابق، ص66.

[14] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص112.

[15] Louis la chance – le droit et les droits de l'homme –puf.1980p49.

[16] جان جاك شوفاليه تاريخ الفكر السياسي ج1ص123

[17] Emile Bréhier. Les stoïciens –p57.

[18]– أمين عثمان، الفلسفة الرواقية دار النهضة القاهرة ط2، 1959–، ص 224.

[19]– فرانسوا غريغوار، المذاهب الأخلاقية الكبرى ،تر قتيبة معروفي ، منشورات عودات ، بيروت ،ط3 ،1984ص 92.

38– مفيد شهاب – نقاط عامة حول حقوق الإنسان بين السيادة الوطنية والتدخل الدولي في حقوق الإنسان الثقافة العربية والنظام العربي العالمي اتحاد المحامين العرب القاهرة 1993ص188

39– المرجع نفسه ص 188